2- ومنها : ما جاء فى الأحاديث والآثار المؤذنة بذلك كقوله : **"وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**"[1]0 وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما حضر رسول الله - وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب؛ فقال النبى : **هَلُمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده**"0 فقال عمر : **إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن 0 حسبنا كتاب الله**[2]، وأبشاهدا ملم روى مرفوعاً وموقوفاً بالاقتصار على القرآن فقط 0

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - الاقتصار على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم؛ ولأن فيه تبيان كل شئ إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبى به لقوله تعالى : [illegible][3]0

وكلام الحافظ ابن حجر السابق نقله مبتوراً الأستاذ جمال البنا فقال : "التمسك بالقرآن والعمل بمقتضاه إشارة إلى قوله : **"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله"**0 وترك جمال البنا، بيان أن العمل بالقرآن الكريم يقتضى العمل بالسنة المطهرة كما صرح ابن حجر[4]0

---

1 () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الحج، باب حجة النبى 4/431، 432 رقم 1218 من حديث جابر بن عبد الله 0

2 () أخرجه مسلم(بشرح النووى)كتاب الوصية،باب ترك الوصية لمن ليس له شئ 100/6 رقم 1638

3 () جزء من الآية 7 من سورة الحشر، وانظر : فتح البارى 5/425، 426 رقم 2740 حديث عبدالله بن أبى أوفى 0

4 () السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 246 0

وهذا ما فعله أيضاً الدكتور أحمد صبحى منصور فى كتابه "حد الردة" نقل كلام الحافظ بن حجر الذى نقلناه، وبتر منه لفظة النبى فصارت العبارة : "فإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به"[1] أ0هـ ...

وفى هذا الجواب الأخير تعلم الجواب عن باقى الآيات التى استشهد بها أعداء السنة على الاكتفاء بالقرآن، وعدم حجية السنة، للاقتصار على ذكر القرآن فقط، والوصية به كقوله تعالى:

وقوله تعالى:[2] 0 وقوله تعالى:[3] 0 وقوله تعالى :[4] 0 وقوله تعالى :[5] وقوله تعالى [6] 0 وأشباه هذه الآيات الكريمة التى ورد الاقتصار فيها على الوصية بكتاب الله ، وما ذلك إلا كما علمنا، أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه فى الشرائع والأحكام واتباعه، والعمل بما فيه عمل بالسنة النبوية المستمدة حجيتها ومصدرتيها التشريعية منه 0 فهى من الوحى الغير متلو، والوحى ذكر، والذكر محفوظ بنص القرآن فى قوله تعالى : [7] 0 وهذا ما أنكره أعداء السنة ... فإلى بيان شبهتهم والرد عليها0

---

1 ( ) حد الردة ص 89 0
2 ( ) جزء من الآية 3 من سورة المائدة 0
3 ( ) جزء من الآية 115 من سورة الأنعام 0
4 ( ) جزء من الآية 170 من سورة الأعراف 0
5 ( ) جزء من الآية 51 من سورة العنكبوت 0
6 ( ) جزء من الآية 19 من سورة الأنعام 0
7 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0

المطلب الثانى
شبهة أن السنة لو كانت حجة لتكفل الله بحفظها والرد عليها

زعم أعداء السنة المطهرة أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السنة، واحتجوا لذلك بقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] وقالوا : لو كانت السنة حجة ووحياً مثل القرآن؛ لتكفل الله عز وجل بحفظها؛ كما تكفل بحفظ القرآن الكريم 0

وممن ذهب إلى ذلك؛ الدكتور توفيق صدقى[2]، وإسماعيل منصور[3]، وأيدهما جمال البنا[4]، وذهب إلى ذلك أيضاً فرقة (أهل القرآن) بالهند وباكستان[5]0

الجـــواب :

مما لا شك فيه أن منشأ هذه الشبهة فى كلمة (الذكر) حيث اقتصر فهم المنكرين لحجية السنة المطهرة على أن المراد بكلمة الذكر فى الآية هو "القرآن الكريم" وحده دون السنة، وأن الضمير فى قوله تعالى **"لـه"** عائد على القرآن، وأن الآية فيها حصر بتقديم الجار والمجرور وهذا الحصر يفيد عندهم قصر الحفظ على القرآن وحده دون ما عداه[6]0

---

1 () الآية 9 من سورة الحجر 0
2 () مجلة المنار المجلد 9/911 – 913 0
3 () تبصير الأمة بحقيقة السنة 23 0
4 () السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 33 وما بعدها 0
5 () مقام الحديث ص 6–18 نقلاً عن دارسات فى الحديث النبوى للدكتور محمد الأعظمى 1/32، وانظر القرآنيون وشبهاتـهم حول السنة للدكتور خادم بخش ص 99 0
6 () السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبى ص 25 0

ونقول رداً على ذلك : إن رب العزة قد تكفل بحفظ ما صح من حديث رسوله ، ويدل على ذلك الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والعقل، والتاريخ[1]0

---

1 () خلافاً لما زعمه الدكتور إسماعيل منصور فى تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 256 0

أولاً : أما الدليل من كتاب الله على تكفل الله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ كتابه الكريم :

1- قوله تعالى : [1]، **يقول فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد ندا فى الآية الكريمة إخبار من الله تعالى : بأن السنة مبينة للقرآن، وقد تكفل الله بحفظه فى قوله تعالى :** [2] فيلزم من هذا أن يكون قد تكفل أيضاً بحفظ السنة؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما 0

2- وقال تعالى : [3] فإنه نص صريح يدل على أن الله قد تكفل بحفظ السنة على وجه الأصالة والاستقلال لا على طريق اللزوم والتتبع؛ لأنه تكفل فيه ببيان القرآن فى قوله تعالى : [4] أى بيان القرآن، والبيان كما يكون للنبى يكون لأمته من بعده 0 وهو يكون للنبى بالإيحاء به إليه ليبلغه للناس، وهو المراد فى الآية السابقة : [5] وقوله تعالى : [6] **فالسنة النبوية على هذا منزلة من عند الله (بوحى غير متلو) وفى هذا رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور؛ بأن البيان للذكر لم ينزل مع الذكر (القرآن) وإلا لكان النص على نحو : "وأنزلنا إليك**

---

1 ( ) الآية 44 من سورة النحل 0
2 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0
3 ( ) الآيات 17-19 من سورة القيامة 0
4 ( ) الآية 44 من سورة النحل 0
5 ( ) الآية 64 من سورة النحل 0

الذكر وبيانه"[6]0 ويكون البيان للأمة من بعده بحفظ السنة التى بلغهم النبى إياها 0

ولو شغب مشاغب بأن هذا الخطاب:"**عَلَيْنَا بَيَانَهُ**" متوجه إلى الله فقط دون الأمة وإلا قال :"**عليكم بيانه**" لما أمكنه هذا الشغب فى قوله : **فمن الذى جمع القرآن الكريم؟! الله بذاته المقدسة؟ أم قيض لذلك رجالاً من خلقه وعلى رأسهم من أنزل عليه وصحابته الكرام فمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؟!**

فإن أجاب بالأولى، استغنى بجهله هذا عن مناظرته، **وإن أجاب الثانية**؛ بطل قوله بأن بيان الكتاب متوجه إلى الله فى كتابه فقط وليس إلى نبيه وإلى الأمة من بعده 0 **وفى ذلك رد على ما زعمه الدكتور إسماعيل منصور بأن حفظ الرجال للسنة يجعلهم يتساوون مع الله فى القدرة بحفظه كتابه ، فتستوى بذلك قدرة الله وقدرة المخلوقين**[1]0

يقول فضيلة الدكتور محمد السيد ندا : "فهذان دليلان على أن الله تكفل بحفظ السنة كما تكفل بحفظ القرآن، وتحقيقاً لهذا الوعد الكريم من الله هيأ الأسباب لحفظها، والذود عن حياضها؛ فأثار فى نفوس المسلمين عوامل المحافظة عليها، والدفاع عنها؛ فكانت موضع اهتمامهم ومحل تقديرهم ورعايتهم منذ أن أشرقت شمسها إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[2]0

---

6 () تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 260 0

1 () المصدر السابق ص 258، 288، 289 0

2 () المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة 2/531، 532 بتصرف 0

3- ويذكر الإمام ابن حزم دليلاً ثالثاً من كتاب الله على تكفله جل علاه بحفظ السنة فى قوله تعالى : ﴿ ﴾[1]

يقول الإمام ابن حزم : "هذه الآية الكريمة جامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها، وذكرت أصولاً ثلاثة وهى قوله تعالى : ﴿ ﴾ فهذا أصل وهو القرآن،ثم قال تعالى: ﴿ ﴾ فهذا ثان وهو الخبر عن رسول الله ، ثم قال تعالى:﴿ ﴾ فهذا ثالث وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله حكمه، وصح لنا بنص القرآن، أن الأخبار هى أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع، قال تعالى : ﴿ ﴾ **والبرهان على أن المراد بهذا الرد؛ إنما هو إلى القرآن،والخبر عن رسول الله ؛ لأن الأمة مجمعة على أن هذا الخطاب متوجه إلينا، وإلى كل من يخلق ويركب روحه فى جسده إلى يوم القيامة من الجنة والناس؛** كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله وكل من أتى بعده عليه السلام وقبلنا ولا فرق، وقد علمنا علم ضرورة أنه لا سبيل لنا إلى رسول الله وحتى لو شغب مشاغب بأن هذا الخطاب إنما هو متوجه إلى من يمكنه لقاء رسول الله ، لما أمكنه هذا الشغب فى الله ، إذ لا سبيل لأحد إلى مكالمته تعالى؛ فبطل هذا الظن، وصح أن المراد بالرد المذكور فى الآية التى نصصنا إنما هو إلى كلام الله تعالى، وهو القرآن وإلى كلام نبيه المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل، وأيضاً فليس فى الآية المذكورة ذكر للقاء ولا مشافهة أصلاً، ولا دليل عليه، وإنما فيه الأمر

---

[1] () الآية 59 من سورة النساء 0

بالرد فقط، ومعلوم بالضرورة؛ أن هذا الرد إنما هو تحكيم أوامر الله تعالى وأوامر رسوله دون تكلف تأويل ولا مخالفة ظاهر 0

والقرآن والخبر الصحيح بعض من بعض وهما شئ واحد فى أنهما من عند الله تعالى، وحكمها حكم واحد فى باب وجوب الطاعة لهما للآية المذكورة وقوله تعالى : ﴿ ﴾[1]

وكلام النبى كله وحى لقوله تعالى : ﴿ ﴾[2] والوحى ذكر باجماع الأمة كلها، والذكر محفوظ بالنص قال تعالى : ﴿ ﴾[3] فصح أن كلام رسول الله كله فى الدين وحى من عند الله ؛ لا شك فى ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة فى أن كل وحى نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل 0 فالوحى كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه؛ فمضمون ألا يضيع منه، وألا يحرفٍ منه شئ، أبداً تحريفاً لا يتأتى البيان ببطلانه، إذ لو جاز غير ذلك؛ لكان كلام الله تعالى كذباً وضمانه خائساً، وهذا لا يخطر ببال ذى مسكة عقل، فوجب أن الدين الذى أتانا به محمد محفوظ بتولى الله تعالى حفظه، مبلغ كما هو إلى كل ما طلبه مما يأتى أبداً إلى انقضاء الدنيا قال تعالى : ﴿ ﴾[4] فإذا كان ذلك كذلك؛ فبالضرورى نتيقن أنه لا سبيل ألبته إلى ضياع شئ قاله رسول الله فى الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطاً لا يتميز عند أحد من الناس بيقين، إذ لو

---

1 ( ) الآيتان 20، 21 من سورة الأنفال 0
2 ( ) الآيتان 3، 4 من سورة النجم 0
3 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0
4 ( ) الآية 19 من سورة الأنعام 0

جار ذلك؛ لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: ﴿ ﴾[1] كذباً ووعداً مخلفاً،وهذا لا يقوله مسلم

فإن قال قائل : "إنما عنى تعالى بذلك القرآن وحده، فهو الذى ضمن تعالى حفظه دون سائر الوحى الذى ليس قرآناً0 قلنا له وبالله تعالى التوفيق : "هذه دعوى كاذبة مجردة من البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل، وما كان هكذا فهو باطل لقوله تعالى : ﴿ ﴾[2] فصح أنه لا برهان له على دعواه، فليس بصادق فيها، والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه من قرآن أو من سنة وحياً يبين بها القرآن، وأيضاً فإن الله تعالى يقول : ﴿ ﴾[3] فصح أنه عليه الصلاة والسلام مأمور ببيان القرآن للناس 0

وفى القرآن مجمل كثير؛ كالصلاة، والزكاة، والحج، وغير ذلك مما لا نعلم ما ألزمنا الله تعالى فيه بلفظه، ولكن بين لنا رسول الله ، فإذا كان بيانه – عليه الصلاة والسلام – لذلك المجمل غير محفوظ ولا مضمون سلامته مما ليس منه؛ فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه، لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها، وما أخطأ فيه المخطئ أو تعمد فيه الكذب الكاذب، ومعاذ الله من هذا[4]0

---

1 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0
2 ( ) الآية 111 من سورة البقرة 0
3 ( ) الآية 44 من سورة النحل 0
4 ( ) الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم 1/96، 117، 118 بتصرف يسير 0

4- **ويذكر الإمام ابن قيم الجوزية :** دليلاً رابعاً من كتاب الله على تكفله -جل جلاله- بحفظ السنة فى قوله تعالى : [1] وقال تعالى : [2] وقال تعالى : [3]

يقول ابن قيم الجوزية : فنقول لمن جوز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شرائع الإسلام غير محفوظ، وأنه يجوز فيه، التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطاً لا يتميز أبداً، أخبرونا عن إكمال الله تعالى لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا ديناً، ومنعه من قبول كل دين سوى الإسلام 0 أكل ذلك باق علينا ولنا وإلى يوم القيامة؟ أم إنما كان ذلك للصحابة فقط؟ أولا للصحابة ولا لنا؟ ولابد من أحد هذه الوجوه 0

فإن قالوا : لا للصحابة ولا لنا؛ كان قائل هذا القول كافراً لتكذيبه الله جهاراً، وهذا لا يقوله مسلم 0 وإن قالوا : بل كل ذلك لنا وعلينا وإلى يوم القيامة؛ صاروا إلى قولنا ضرورةً، وصح أن شرائع الإسلام كلها كاملة والنعمة بذلك علينا تامة 0

وهذا برهان ضرورى وقاطع على أن كل ما قاله رسول الله فى الدين، وفى بيان ما يلزمنا محفوظ لا يختلط به ما ليس منه أبداً 0

وإن قالوا : بل كان ذلك للصحابة فقط، قالوا : الباطل، وخصصوا خطاب الله بدعوى كاذبة، إذ خطابه تعالى بالآيات الكريمة التى ذكرها عموم

---

1 ( ) الآية 3 من سورة المائدة 0
2 ( ) الآية 85 من سورة آل عمران 0
3 ( ) الآية 19 من سورة آل عمران 0

لكل مسلم فى الأبد، ولزمهم مع هذه العظيمة أن دين الإسلام غير كامل عندنا، والله تعالى رضى لنا منه ما لم يحفظه علينا وألزمنا منه ما لا ندرى أين نجده، وافترض علينا اتباع ما كذبه الزنادقة 0 ووضعوه على لسان رسوله ، أو وهم فيه الواهمون مما لم يقله نبيهم – وهذا بيقين ليس هو دين الإسلام، بل هو إبطال لدين الإسلام جهاراً، ولو كان هذا – ومعاذ الله أن يكون – لكان ديننا؛ كدين اليهود والنصارى الذين أخبر الله تعالى أنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا : هذا من عند الله، وما هو من عند الله 0

ونحن قد أيقنا بأن الله تعالى هو الصادق فى قوله : **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ**[1] وأنه تعالى قد هدانا للحق، فصح يقيناً أن كل ما قاله رسول الله ، هدانا الله تعالى له، وأنه حق مقطوع به حفظه الله تعالى، وقد قال تعالى : **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**[2] 0

وقال تعالى : **لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**[3] 0 فلو جاز أن يكون ما نقله الثقات الذين افترض الله علينا قبول نقلهم والعمل به والقول بأنه سنة الله وبيان نبيه يمكن فى شئ منه التحويل أو التبديل؛ لكان إخبار الله تعالى بأنه لا يوجد لها تبديل ولا تحويل كذباً، وهذا لا يجيزه مسلم أصلاً؛ فصح يقيناً لا شك فيه أن كل سنة سنها الله لرسوله، وسنها رسوله لأمته، لا يمكن فى شئ منها تبديل ولا تحويل أبداً، وهذا يوجب أن نقل الثقات فى الدين؛ يوجب العلم بأنه حق كما هو من عند الله [4] أ 0هـ 0

ثانياً : أما الدليل من السنة النبوية الصحيحة على تكفل الله بحفظ سنة نبيه قوله "أوصيكم بتقوى الله، والسمع

---

1 ( ) الآية 213 من سورة البقرة 0
2 ( ) الآية 43 من سورة فاطر 0
3 ( ) الآية 64 من سورة يونس 0
4 ( ) مختصر الصواعق المرسلة 2/543، 544 0

والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، و كل بد عة ضلالة"[1] وقـوله **"تر كت فيـ كم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض"**[2]0

ففى هذه الأحاديث وغيرها – مما سيأتى فى المبحث الثالث يخبر النبى ؛ أن له سنة مطهرة تركها لأمته، وحثهم على التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ؛ ففى اتباعها الهداية، وفى تركها الغواية، فلو كانت سنته المطهرة غير محفوظة، أو يمكن أن يلحقها التحريف والتبديل؛ فلا يتميز صحيحها من سقيمها، ما طالب أمته بالتمسك بها من بعده، فيكون قوله مخالفٌ للواقع، وهذا محال فى حقه فأمره بالتمسك بها، يدل على أنها ستكون محفوظة تأكيداً لقوله تعالى : **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**0[3] فدل ذلك على إخبار بالغيب صادق فى الواقع 0

ثالثاً : الدليل العقلى على تكفل رب العزة بحفظ سنة نبيه :

يقول الدكتور رءوف شلبى : "ليس بلازم فى الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن الكريم وحده، لأمرين :

---

1 ( ) سبق تخريجه ص 38 0

2 ( ) سبق تخريجه ص 196، كما سبق أن ذكرت أن ما ورد فى الصحيحين بالاقتصار على الوصية بالكتاب محمول كما قال الحافظ ابن حجر "لكونه أعظم وأهم واتباع الناس لما فيه عمل بكل ما أمرهم به النبى فى سنته المطهرة 0

3 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0

1- **أنه لو كان المراد من الذكر القرآن الكريم وحده؛** لصرح المولى به باللفظ، كما صرح به فى كثير من الموضوعات كما فى قوله تعالى : [1]0

وقوله تعالى : [2]

وقوله تعالى : [3]0

2- **لو كان المراد بالذكر القرآن لعبر عنه بالضمير إنا نحن نزلناه** إذ افتتاح السورة فيه نص وذكر للقرآن [4] والتعبير بالضمير فى نظر اللغة أجود؛ لأن العلم فى المرتبة الثانية من الضمير، إذ هو أعرف المعارف، وهو عمل يتفق مع منزلة القرآن، وتعتمده الصناعة الإعرابية 0

وإذن : فليس بالحتم أمام فهم العقل أن يكون المراد من الذكر هو القرآن فقط دون غيره، بل إن تفسير الذكر بالقرآن فقط احتمال بعيد فى نظر العقل؛ لعدم وجود مرشح لهذا التفسير يقوى على مواجهة الأمرين السالفين اللذين يقويان بالمنزلة والعرف النحوى 0

وإنه لأقرب من هذا التفسير أحد الاحتمالين :

الأول : أن يكون المراد من الذكر الرسالة والشرف الذى استحقه الرسول واتصف به بنزول النبوة والقرآن عليه، ويقوى عندنا هذا الاحتمال أمام نظر العقل افتتاحة سورة "الحجر" حيث صورت مقالات الكافرين المعتدين على النبوة بأوصاف مفتراه ذكرها رب العزة فى كتابه حكاية على لسانهم (

---

1 ( ) الآية 9 من سورة الإسراء 0
2 ( ) الآيتان 21، 22 من سورة البروج 0
3 ( ) الآية 17 من سورة القمر 0
4 ( ) الآيات الأولى من سورة الحجر، وانظر : شفاء الصدور فى تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد محمد نوح 1/80 0

فالآيتان الأوليان تصوران اتهامات الكافرين الكاذبة، والآيتان التاليتان ترد على هذه الاتهامات، وتعد بحفظ الرسالة والشرف الذى نزل على رسول الله 0

ويرشح لهذا الاحتمال قوله تعالى : [2] فعود الضمير فى الآية "**إنه**" على ما ذكر قبلاً فى قوله تعالى : [3] دليل على أن التصريح به مراد الشرف، لا سيما ومن قبل ذلك قال تعالى : [4] فذكر القرآن بالنص أولاً، وذكره بالوحى ثانياً، ووصف ذلك بأنه ذكر للنبى ولقومه، مما يقوى الاحتمال العقلى، أن المراد من الذكر فى سورة الحجر هو الرسالة والشرف 0

الثانى : أن يكون المراد من الذكر الشريعة مطلقاً، ويرشح لهذا الاحتمال ما تناولته السورة بعد الآية التى معنا فى ذكر موقف الأمم السابقة مع رسلهم، يقول الله تعالى :

---

1 ( ) الآيات 6 –9 من سورة الحجر 0
2 ( ) الآية 44 من سورة الزخرف 0
3 ( ) الآية 43 من سورة الزخرف 0
4 ( ) الآية 31 من سورة الزخرف 0

[illegible][1]0

والأنبياء يكلفون الأمم بالشرائع، والشريعة : كتاب الله وسنة نبيه ، والذى يستعرض حالات الأمم مع الأنبياء يقف أن محاجاة الكافرين مع الرسل، تدور كلها حول التكليف الذى مصدره ما ينزله الله بالوحى المعبر عنهما بالكتاب والسنة؛ فالسنة ليست من المسائل الخاصة بالنبى ، كما سنبينه فى المبحث الثالث إن شاء الله تعالى 0

وتكون الآية التى معنا قد نبهت على أمر خطير : هو أنه إذا كان الأمر فى الأمم السالفة ينتهى إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل وأممهم؛ فإن هذه الشريعة قرآناً وسنة سيحفظها رب العزة إلى قيام الساعة من كيد أعدائه وأعداء دينه كما وعد فى قوله تعالى: [illegible][2]

وعلى ذلك فإن الذكر فى الآية مراد به الشريعة، ويكون الضمير فى قوله "**لـه**" عائد على الشريعة بمصدريها الأساسين القرآن الكريم، والسنة المطهرة[3]0

قلت : ومما يرشح لهذا الاحتمال الثانى : تفسير الإمام الشاطبى للحفظ المضمون فى الآية الكريمة؛ بأنه حفظ أصول الشريعة وفروعها فيقول : "من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو ملح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا ملحه 0 فهذه ثلاثة أقسام :

---

1 ( ) الآيات 10-13 من سورة الحجر 0
2 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0
3 ( ) السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبى ص 25-29 بتصرف 0

القسم الأول : هو الأصل والمعتمد، والذى عليه مدار الطلب، وإليه تنتهى مقاصد الراسخين وذلك ما كان قطيعاً أو راجعاً إلى أصل قطعى 0 والشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه، ولذلك كانت محفوظة فى أصولها وفروعها، كما قال الله تعالى : ﴿ ﴾[1]؛ لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التى بها يكون صلاح الدارين : وهى الضروريات والحاجيات، والتحسينات وما هو مكمل لها ومتمم لأطرافها وهى أصول الشريعة، وقد قام البرهان القطعى على اعتبارها، وسائر الفروع مستندة إليها، فلا إشكال فى أنها علم أصل، راسخ الأساس، ثابت الأركان[2]0

يقول الدكتور رءوف شلبى : "لكن بقى أن يقال : كيف يعود الضمير على القرآن والسنة معاً، ولم يذكر إلا القرآن وحده؟ ولكننا نجد فى القرآن الكريم نفسه استعمالاً للضمير استناداً على ما يفهم من السياق، و مدلولات الحديث، يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ ﴾[3]0 فتلك صفات الحور العين مع أنه لم يجر لهم ذكر فى قسم أصحاب اليمين فى سورة الواقعة، ولكن السياق العام للسورة وما ذكر فى الأقسام السابقة يجعل الذهن يدرك أن الضمير عائد على أمر مفهوم الفحوى والسياق والأسلوب 0

كذلك يقوى هذه الشهادة فى استعمال القرآن الضمير على ما يستند على الأسلوب النحوى، قوله تعالى : ﴿ ﴾[4]0 ففى قوله : **"توارت"** ضمير فاعل يعود على الشمس مع أنه لم يجر لها ذكر فى السورة بالنص، ولكن

---

1 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0
2 ( ) الموافقات للشاطبى 1/32، 70، 2/368 – 371 0
3 ( ) الآيات 35 – 37 من سورة الواقعة 0
4 ( ) الآية 32 من سورة ص 0

السياق العام يجعل الذهن يدرك أن الضمير عائد على الشمس 0 وما معنا فى آية الحجر من هذا القبيل والكل استعمال قرآنى تزكيه اللغة، ويقويه الإعراب القرآنى، فليس هناك وجه للاعتراض، وعليه يسلم تفسير الذكر بالشريعة قرآناً وسنة[1]0

قلـت : وفيما سبق رد على ما زعمه كذباً الدكتور إسماعيل منصور بأنه : "لو كانت السنة من الذكر الذى نزله الله تعالى؛ للزم بيان ذلك الحكم صراحة، ولما صح إبهامه حتى يأتى من باب التأويل "الفاسد" الذى لا يصح بأى حال! فضلاً عن أن الذكر قد ورد صراحة فى القرآن الكريم، ليدل على أنه القرآن الكريم وحده دون منازع – كما فى قوله تعالى : [illegible] [2]0 و قوله تعالى : [illegible] [3] وغير ذلك من الآيات التى استدل بها على أن الذكر هو القرآن الكريم وحده[4]0

ونسلم لكم أيها المعاندون لحجية السنة أن المراد بالذكر؛ هو القرآن الكريم وحده، وأن الضمير فى قوله تعالى : "لـه" عائد على القرآن المراد منه الذكر، ولكن الحصر الذى تستدلون به على أن السنة النبوية لم تدخل فى دائرة الحفظ لقصره على القرآن فقط، وترتبون على هذا الحصر عدم صحة الاحتجاج بالسنة، وأنها ليست مصدراً من مصادر التشريع 0

---

1 ( ) السنة بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص 29، 30 0
2 ( ) الآية 50 من سورة الأنبياء 0
3 ( ) الآية 58 من سورة آل عمران 0
4 ( ) انظر : تبصير الأمة بحقيقة السنة ص 23 – 25، 256 وما بعدها 0

هذا الحصر ليس حصراً حقيقياً؛ بل هو حصر إدعائى، والدليل على ذلك؛ أن رب العزة قد حفظ أشياء كثيرة مما عداه منها :

1- حفظه جل جلاله للسماوات والأرض أن تزولا كما قال [illegible] [1]0

2- حفظه جل جلاله لنبيه [illegible] من القتل كما قال [illegible] : [illegible] [2]0 **وإذا فسدت حقيقة القصر؛ فقد فسد المترتب عليها : وهو عدم الاعتراف بحجية السنة المطهرة**[3]0

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق[4] : "والحصر الإضافى بالنسبة إلى شئ مخصوص، يحتاج إلى دليل وقرينة على هذا الشئ المخصوص، ولا دليل عليه سواء أكان سنة أم غيرها 0

فتقديم الجار والمجرور ليس للحصر، وإنما هو لمناسبة رؤوس الآى 0 بل:لو كان فى الآية حصر إضافى بالنسبة إلى شئ مخصوص: لما جاز أن يكون هذا الشئ هو السنة؛ لأن حفظ القرآن متوقف على حفظها،ومستلزم له بما أنها حصنه الحصين،ودرعه المتين، وحارسه الأمين، وشارحه المبين؛ تفصل مجمله، وتفسر مشكله، وتوضح مبهمه، وتقيد مطلقه، وتبسط مختصره، وتدفع

---

1 () الآية 41 من سورة فاطر 0

2 () جزء من الآية 67 من سورة المائدة 0

3 () السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين للدكتور رءوف شلبى ص 30،31 بتصرف 0

4 () عبد الغنى : هو عبد الله الغنى محمد عبد الخالق، نشأ فى أسرة علمية عرفت بالعلم والدين والفضل، ولها نصيب من النسب الشريف، تخرج من كلية الشريعة عام 1935، وحصل على درجة العالمية (الدكتوراه) فى أصول الفقه سنة 1940م، وقد تخرج على يديه أجيال من العلماء الأجلاء 0 من مؤلفاته : حجية السنة، مات سنة 1983 0 انظر : ترجمته فى كتابه حجية السنة ص 5-18 بقلم الدكتور طه العلوانى 0

عنه عبث العابثين، ولهو اللاهين، وتأويلهم إ ياه على حسب أهوائهم وأغراضهم، وما يمليه عليهم رؤساؤهم وشياطينهم 0 فحفظها من أسباب حفظه، وصيانتها صيانة له 0

ولقد حفظها الله تعالى كما حفظ القرآن فلم يذهب منها – ولله الحمد – شئ على الأمة؛ وإن لم يستوعبها كل فرد على حدة"[1]0

رابعاً : الدليل التاريخى على تكفله جل جلاله بحفظ السنة كما تكفل بحفظ القرآن الكريم :

أنه لو تتبع أعداء الإسلام الحوادث والتاريخ، وتتبعوا السيرة النبوية العطرة؛ لظهر لهم بكل جلاء ووضوح وبما لا يدع مجالاً للشك؛ أن سنة المصطفى نالت من العناية والاهتمام لدى المسلمين ما لم تنله سيرة أى عظيم من العظماء، ولا بطل من الأبطال، ولا رئيس من الرؤساء، ولا ملك من الملوك 0 ذلك أن رسول الله فى واقع الأمر ليس إنساناً عادياً، ولا رسولاً عادياً، ولا قائداً يشبه فى أخلاقه وصفاته الإنسانية أحداً، "فهو أفق وحده لا يدانيه أفق" ولذلك كان هو الأسوة، وهو النبراس المضئ 0

أدرك هذه الحقيقة أصحابه وتابعوهم، والمسلمون من بعدهم فعكفوا على نقل، وتدوين وحفظ، وتطبيق كل ما صدر عن رسول الله من قول، أو فعل، أو تقرير، حتى الحركات والسكنات، **وبالجملة** 0 نقلت حياته برمتها وكلياتها وجزئياتها فى عباداته ومعاملاته، فى سلمه وحربه، وفى نومه ويقظته، فى أدق الأمور، وفيما نعده من أسرار حياتنا كمعاشرته، إلى غير ذلك بصورة لم تحظ بها سيرة أحد غيره من البشر 0

وهذا يمثل إشارة قوية إلى أن الله تكفل بحفظ هذه السنة بما هيأ لها من رجال أفنوا أعمارهم فى ضبطها والسهر عليها،

---

[1] () حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 390، 391 0

وتدوينها، وحفظها، وشرحها، وتمييز صحيحها من سقيمها؛ فنقشوها فى صفحات قلوبهم الأمينة، وفى كتبهم الواعية، فكان تكفله بحفظ كتابه فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(*) ﴾ يشمل السنة النبوية حيث قيض الله لها من الرواة الثقات والأئمة الأعلام، ما قيض لكتابه العزيز من ثقات كل قرن، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها 0

ولولا إرادة المولى بحفظها، لاندثرت مع تعاقب الدهور لكثرة ما وجه إليها من طعون، ولكثرة ما صادفت من أعداء أضمروا لها شراً، وأرادوا بها سوءاً، فجعلهم الله الأخسرين بما قيض لها من الرجال الأوفياء فى كل عصر، وفى كل جيل، وفى كل مكان[2]0

وأخيـراً فإننا لا نستطيع إلا أن نرتاب فى أمر هؤلاء الناس الذين قرروا إطلاق أنفسهم من ربقة القرآن الكريم وأحكامه، قبل أن يقرروا إطلاقها من مقتضيات السنة وأحكامها 0 ولكن شق عليهم أن يواجهوا الناس بخروجهم على القرآن الكريم وتعليماته، فأضافوا إلى القرآن الكريم ما لا مضمون له إلا ما تهواه أنفسهم ويتفق مع رغائبهم وأغراضهم ... وكان غرضهم الوحيد من ذلك هو أن يبعدوا السنة عن طريقهم ويقطعوا ما بينها وبين القرآن الكريم من علاقة التفسير والتكامل والبيان 0

---

1 ( ) الآية 9 من سورة الحجر 0

2 ( ) انظر : مؤتمر السنة النبوية ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة بحث الشيخ عز الدين الخطيب وتعقيب فضيلة الأستاذ للدكتور/ أحمد عمر هاشم 2/58 - 560، 602 بتصرف، وراجع : هنا مبحث "الحديث النبوى تاريخ الإسلام" ص 50 0

وقد سبقهم إلى ذلك – فى عصور سالفة – بعض الزنادقة والمارقين 0 فما كان حالهم فى الظهور والافتضاح إلا شراً ممن جاهروا بالكفر والعصيان ومحاربة كتاب الله وغدت الأمة الإسلامية تتقى شرهم أكثر مما تتقى مجاهرة الكافر بكفره، والفاسق بفسقه[1]0

"**نعـم**" إن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم، خارجين عن الطريقة المثلى، وخارجين عن السنة المطهرة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة، وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله فضلوا وأضلوا"[2] أ 0هـ 0

والله تبــارك وتعالـى
أعلى وأعلم

---

1 () مؤتمر السنة ومنهجها فى بناء المعرفة والحضارة بحث الدكتور محمد البوطى 2/462 0

2 () الموافقات للإمام الشاطبى 4/401، 432 بتصرف 0